من هو يسوع المسيح؟
(مرقس ١:٤٠-١٢:٢)

تأليف: جو شوبيرت

هل يسوع هو حقاً ابن الله؟ يقدم انجيل مرقس ١:٤٠-١٢:٢ صورة حية ليسوع. يصوره بانه الرؤوف وابن الله القدير.

تروي ثلاثة احداث المناسبة لمواجه السؤال: « من هو يسوع؟ » قد أظهرت قصة شفاء الأبرص والمفلوج رأفة وقوة يسوع؛ منحه الغفران في الحال يتحدث عن ألوهيه المسيح. فلنتعلم الدروس التي أعطيت لنا في هذه المناسبات الثلاث:

١. شفاء الأبرص (مرقس ١:٤٠-٤٥)

لم يتحدث الكتاب المقدس عن أي مرض أكثر رعبا من البرص فهو مرعب من جهة ومثير للشفقة من ناحية أخرى. قال ا. و. غ. ماسترمان في قاموسه المسيح والأناجيل: « لا يوجد مرض آخر يحول الأنسان خلال بضع سنين إلى حطام بشع. » لم يكن للأبرص ان يحتمل آلام معاناته الجسدية لوحده فحسب، بل أيضاً الكرب العقلي بسبب منعه من الأختلاط مع المجتمع. تتطلب شريعة موسى من الأبرص ان يقيم خارج خيمة اسرائيل. وكان عليه ان يرتدي ملابس ممزقة ويحلق شعره ويرتدي حجاب على الشفة العليا. وعندما يمر، كان عليه ان يخبر الجميع بحضوره الملوث، إذ يصيح: « نجس! نجس! »

واحد من أكثر صور يسوع البارزة في إنجيل مرقس هي قصة شفاءه للأبرص المذكورة في الأصحاح الأول. تبدأ من الآية ٤٠ حيث يقول السجل:

> فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرني. فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر. فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر (الآيات ٤٠-٤٢).

الحقيقة الأولى التي نلاحظ بأهتمام هي ان يسوع لم يطرد هذا الأبرص بعيداً. بالرغم من انه لم يكن لهذا الأبرص الحق بالإقتراب من يسوع. ولكن يسوع قابل حاجة الإنسان الميؤس منها برأفة وفهم. قال مرقس البشير بان يسوع مد يده ولمسه. هذه المعجزة تم تدوينها من قبل متى ومرقس ولوقا، ولكن مرقس وحده هو الذي ذكر بان يسوع مد يده ولمس الأبرص. هناك شيء خاص عن هذه اللمسة. رأى يسوع الإنسان في حالة يأس فمد يده إليه.

لا يمكن أن يكون أن يسوع ألتفت إلى هذا الأنسان بصورة طبيعية. النظر إلى ذلك الأنسان يثير الشفقة بدون شك. وصف الدكتور وليم باركلي البرص في هذه الكلمات التالية:

> يتغير شكل الوجه بالكامل حتى يفقد الأنسان شكله الطبيعي وهيئته،كما قال القدماء مثل الأسد أو الساطر {إله من آلهة الغابات عند الاغريق، له ذيل واذنا فرس} تتضخم الحبيبات الصغيرة جدا شيئاً فشيئاً؛ وتتقرح وتفرز إفرازات عفنة وتسقط حواجب العين؛ وتبرز العينان؛ وتصاب اوتار الصوت وتتقرح، ويصير الصوت أجش ويصدرالمريض صفيرا عند التنفس... وتفرز اليدين والرجلين الصديد بصورة مستمرة. ويمتلئ جسد المصاب تدريجيا بخراجات الصديد. تبلغ فترة الحضانة للمرض تسعة أعوام وتنتهي بأنحلال عقلي وأغماءوأخيرا

> الموت بعد أن ينفر المصاب من نفسه وينفر منه الآخرين (من كتاب باركلي في تفسير إنجيل مرقس، ص٣٦).

تلك هي حالة الإنسان الذي جاء إلى يسوع ملتمساً الشفاء. جاء إلى يسوع متحدياً بدخوله إلى المجتمع الإنساني، يريد وبكل شجاعة أن يقترب من يسوع الناصري، فركع أمامه وتوسل إليه قائلاً: «يا رب إن شئت تقدر ان تطهرني» يقول الكتاب المقدس بان قلب يسوع إمتلأ بالرأفة. ومد يده ولمسه بلطف، وفي تلك اللحظة اختفى البرص. وصار جسد هذا الإنسان سالماً. هذا حدث رائع يشير إلى قوة ورآفة ربنا.

أنتقل مرقس البشير حالاً ليكشف عن القصد الذي اراده الله من هذا الحدث و القصد الذي رآه يسوع فيه. في أيتي ٤٣ و ٤٤ يقول السجل:

> فانتهره وأرسله للوقت. وقال له انظر لا تقل لأحد شيئاً بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم.

تلك «شهادة للكهنة» البرص الذي طهر: «اذهب وأر نفسك للكهنة، وقدم القرابين من أجل شفائك، ليس شهادة للناس المجتمعين، بل شهادة للكهنة انفسهم.» كان هذا هو السبب الرئيسي في ذهن يسوع كما اعطي لهذه المعجزة ان تخدم. سيتحير الكهنة عندما يظهر لهم هذا الإنسان الذي كانوا يعرفونه بانه أبرص، ويسألهم عن نوع الذبائح التي تعهد بها موسى في سفر الاويين ان تقدم في حالة شفاء الأبرص. ربما ذهبوا إلى المكتبات في محاولة لأستعادة ذاكرتهم عن نوع الذبائح التي تجب ان تقدم عندما يشفي أبرص، لأنه لم يحدث شيء مثل هذا منذ عصور. آخر مرة شفي فيها أبرص كانت في أيام أليشع، ولم يكن الأبرص يهودياً، بل كان من الأمم وهو نعمان قائد الجيش السرياني. لا بد ان اليهود قد هاجو هياجاً شديداً، إذ قالوا، «لم يحدث قط في حياتنا ان طلب منا ان نقدم ذبيحة لتطهير أبرص. ما الذي يحدث الآن في الوجود؟»

عندما قال يسوع: «انظر لا تقل لأحد شيئاً» لم يقتضي به ان لا يقول لاحد على الإطلاق، كان اهتمام يسوع هو بانه، قبل ان يقول لأحد شيئاً عن هذا الشفاء، لابد ان يذهب اولاً إلى الهيكل ويحصل على قبول رسمي من الكهنة الذين يعلنون شرعياً بان هذا الأبرص قد شفي حقاً، وطهر وصار سالماً مرة اخرى. اراده ان يكون شهادة للكهنة أولاً، ومن ثم للشعب. ولكن لم يتمالك الرجل نفسه، ومن شدة حماسته بدأ يذيع الخبر وينشره في الآفاق. وهذه كانت النتيجة كما وردت بكلمات مرقس البشير: «حتى لم يعد {يسوع} يقدر أن يدخل مدينة ظاهراً بل كان خارجاً في مواضع خالية...»

٢. تطهير المفلوج (مرقس ٢:١-٥)

من هذه النقطة، أنتقل مرقس البشير إلى حالة شفاء آخرى ملفته للنظر، وهي حالة شفاء المفلوج. يقول في الآيات الأولى من الأصحاح الثاني:

> ثم دخل كفرناحوم أيضاً بعد أيام فسُمع أنه في بيت. وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاؤا إليه مقدمين مفلوجاً يحمله أربعة. وإذ لم يقدروا ان يقتربوا إليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعد ما نقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني مغفورة لك خطاياك (الآيات ١-٥).

الحقيقة التي تبرز لنا في هذا النص هي إيمان أولئك الرجال. عزيمة ايمانهم. انهم يقفون كمشجعين لنا ليرسخوا في حياتنا نوع الإيمان نفسه الذي تميز به أولئك الرجال الخمسة.

من المهم لفهم هذه القصة ان نلاحظ بان هذه الحالة لم تكن خدمة شفاء التي أقبل إليها أولئك الرجال. يحرص مرقس البشير ان يكلمنا بان يسوع كان يبشر بالكلمة، لم يقم بأعمال الشفاء. كان يبشر في داخل البيت، وليس في الشوارع. كان يسوع يتجنب الشوارع لأن

الناس حولوا الشوارع إلى اماكن لطلب الشفاء. حيثما ذهب إلتمس إليه الناس بطلبات شفاء وطلبات طرد الشياطين. لذا، لم يستطع يسوع ان يفعل الشيء الرئسي الذي جاء من اجله، وهو البشارة بالكلمة. لهذا انعزل بنفسه، في هذه المناسبة تواجد في بيت، واحتشد الناس بالغرفة. ولم يعد هناك مكان حتى ولا ما حول الباب. ولكن أولئك الرجال الخمسة – المفلوج نفسه والأربعة الذين أتوا به – كانوا مصممين ان يجدوا طريقهم ويصلوا إلى يسوع. استخدم الرب هذا الحدث ليكلمنا بان الله يهتم دائماً بحاجات شعبه، سواء كانت روحية أومادية أوعاطفية. إن كانت رغباتهم قوية بما فيه الكفاية، فان الله سيستجيب على الرغم من الحقيقة بانها قد لا تكون في البرنامج. هذا ما يدور الإيمان حوله.

يمكن ملاحظة ثلاثة نواحي جميلة في إيمان أولئك الرجال. أولاً: جاهد أولئك الرجال ان يفعلوا ما هو صعب. لم يكن من السهل ان يصل هذا المفلوج إلى الرب. لم نُخبر عن المسافة التي كانت على أولئك الرجال ان يحملوا خلالها هذا المفلوج عبر المدينة. من أين بدأوا رحلتهم؟ لا ندري. ولكن من غير شك انهم حملوه لمسافة عدة بيوت وعبروا به عدة شوارع نزولاً وصعوداً، قبل ان يصلوا إلى البيت حيث كان يسوع. وعندما وصلوا إلى البيت لم يستطيعوا الدخول من الباب، لذا كان على أولئك الرجال الأربعة ان يحملوا هذا الرجل المسن على سريره ويصعدوا به على السلم الخارجي المؤدي إلى سطح هذا البيت الفلسطيني. لا ندري كم كان وزن الرجل، وليس من السهل ان يحمل إنسان كامل النمو إلى السطح العالي من خلال درجات السلم الضيق. ومع ذلك استطاع أولئك الرجال القيام بهذا العمل الشاق. لقد تجرؤا بإيمانهم، أن يفعلوا ما هو صعب.

ثانياً: لقد تجرؤا ان يفعلوا شيء غير تقليدي. لم تمنع أولئك الرجال حقيقة ان تحطيم سقف البيت هو امر غير مألوف. عندما وجدوا الباب مسدوداً، وجدوا طريقة أخرى. هل تعلم ما كنا سنفعله نحن؟ لكنا وقفنا عند الباب وقلنا، «حسناً، بسبب إننا لا نستطيع الدخول. فلنجلس ونعين لجنة للبحث عن الطرق التي نستطيع بها تقديم هذا الإنسان للرب.» لكُنا قد اتخذنا دراسة عميقة لمدة قد تقارب ثلاث اسابيع محاولين الكشف عن أفضل طريقة للوصل إلى هدفنا. وأما أولئك الرجال فقد فعلوا ما ينبغي عليهم أن يفعلوه. انهم خاطروا بأعتراض ليس فقط من قبل صاحب البيت بل ايضاً من قبل الحاضرين هناك. لم يوبخهم يسوع أبداً، بسبب مقاطعتهم له، لم يفعل شيء من هذا القبيل أبداً. لم يرد في من الأناجيل بان يسوع مانع أو أحرج أو اعترض على مقاطعة شخص صمم ليجد طريقه إليه.

الميزة الثالثة لهذه الحدث هي: ان أولئك الرجال تجرؤا بفعل ما هو مكلف. لابد وان كان هناك من يدفع الثمن للخراب الذي حصل في السقف. لا يمكنك ان تخرب سطح بيت إنسان ثم تذهب إلى بيتك دون ان تدفع الثمن.

تخيل ملامح وجه صاحب هذا البيت، عندما كان جالساً عند قدمي يسوع يصغي لتعليمه، وفجأة شعر بشيء يحفر على سطح البيت. فتطلع لينظر إلى أعلى، ورأى بعض من أجزاء السقف تسقط. ثم ظهرت فجوة كبيرة ونظرت إليه خمس وجوه من خلال تلك الفجوة. لست اعلم مالذي فكر به. ربما فكر ما إذا كان العقد الذي وقعه مع المالك سيتكفل بهذه الكارثة. ربما كان يحسب في عقله التعويض لكي يقدم فاتورة للرجال الذين ثقبوا سقف بيته. لابد لشخص ما ان يدفع الثمن، واني اعتقد بان اما واحد أو كل من أولئك الرجال الذين حملوا صديقهم المفلوج إلى يسوع. انهم تجرؤا بفعل ما هو مكلف. ذلك هو الإيمان. وأخذوا كل شيء على عاتقهم.

٣. مواجه الكتبة (مرقس ٢:٦-١٢)

شدد مرقس البشير على كل هذه لكي يمضي إلى الجزء الثاني من النص، الذي يتركز حول المعارضة التي قام بها كتبة اليهود ومعلمو الشريعة الذين لم يرضيهم ما كان يحدث. وهنا

نأتي إلى جوهر الموضوع. فقد قال يسوع قبل ذلك للمفلوج: «يا بُنيَّ مغفورة لك خطياك.» ويستمر السجل على النحو التالي:

> وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم؛ لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر ان يغفر خطايا إلا الله وحده؟ فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا في أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك؟ ام ان يقال قم واحمل سريرك وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، قال للمفلوج لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك. فقام للوقت وحمل سريره وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط (الآيات ٦-١٢).

كانت هذه مشكلة كبيرة لمعلمي الشريعة اليهود الذين راقبوا كل ما جري. لاحظ كيف صاغها مرقس البشير؛ إذ قال، كان قوم من معلمي الشريعة أو الكتبة جالسين هناك «يفكرون في قلوبهم.» كانوا لا يكلمون احد عن هذا، التفت إليهم يسوع وهو عالم بما كانوا يفكرون به وقال: «لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟» تصور تعجب معلمو الشريعة والكتبة عندما التفت إليهم يسوع وكشف لهم بانه يعلم ما كانوا يفكرون به! قصد الرب ان يجبرهم ليقرروا في تلك اللحظة عن من كان هو. خطوته الأولى للتحرك نحو ذلك النوع من المواجه هي ان يقول للمفلوج: «يا بُنيَّ مغفورة لك خطياك.»

كانت شروط المغفرة تحت ناموس موسى لا تزال سارية المفعول في ذلك الوقت من حياة يسوع. فإذا التفت إلى أولئك الرجال وقال: «يا بُنيّ مغفورة لك خطاياك،» كان هذا دليل قاطع لسلطان يسوع. انه من الواضح ان تلاحظ بان هناك ثلاث مناسبات فقط غفر فيها يسوع خطايا. وكانت هذه واحدة منها، ويحدثنا لوقا البشير بالاثنتين الأخريتين: عندما مسحت المرأة الخاطئة قدميه بدموعها وعندما قال للص التائب {على الصليب}: «...اليوم تكون معي في الفردوس.» كان من النادر ليسوع ان يمنح غفران مباشر وحالاً. انه فعل هذا بلا شك في هذه المناسبة ليدير الأمر وليعد مشاهدوه للأعلان الذي كان على وشك الصدور. كان رد فعل معلموا الشريعة هو اعتراض حق يسوع لأعلان المغفرة. اعترضوا قائلين: «الله وحده يقدر ان يغفر خطايا.» طبعاً،انهم كانوا على حق. كانوا صادقين تماماً، ولكن كان الدافع خطأ. إن قالوا فقط: «الله وحده يقدر ان يغفر خطايا. هل إن هذا الإنسان هو الله؟» لكان الدافع سليما. عندئذ سوف لن يختلفوا على بقية القصة في عالم اليهود إن كانوا قد سألوا بدوافع سليمة.

اقترح لهم يسوع الإختبار في آية ٩. إذ قال: «أيما ايسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك؟ أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش؟»

ما الذي كان يقوله يسوع حقاً؟ كان الخيار واضح لما هو الأيسر. كان يستطيع اي دجال واي مدعي ديني ان يلتفت لشخص ويقول: «مغفورة لك خطاياك.» لا يوجد هناك اي طريقة بشرية في الوجود لاثبات ما إذا تم ذلك ام لا. كيف تثبت إذا ما غفر للإنسان ام لا؟ انه من الأيسر ان يقال؛ ولكن من الصعب ان يثبت. ولكن عندما يلتفت شخص للمفلوج ويقول: «قم احمل سريرك وامش.» فيؤكد صحة تلك الكلمات في ذلك الحال. إذا حمل سريره ومشى فتثبت بان لهذه الكلمات سلطان؛ وإذا لم يحمل سريره ويمش فيكون ذلك الإنسان دجالاً. قال يسوع بموجب هذا: «انه من الايسر جداً لي ان اقول كما قد يفعله اي مدعي ديني، ليغفر لك خطاياك. ولكن إذا قلت: » قم واحمل سريرك وامش، فايهما الأيسر؟ انهم عرفوا ايهما الأيسر. كان يسوع يقول لأولئك الرجال: «انتم تشكون في مقدرتي لمغفرة خطايا. فها انا إذاً ابرهن لكم بان ليس لي سلطان ان اغفر خطايا فحسب، بل لي سلطان ان اشفي ايضاً؛ وسآمر هذا الإنسان ان يحمل سريره ويذهب إلى بيته. إذا جعلت قوة الله يفعل ذلك عندما آمره فستعرفون باني والآب واحد، وبان لي سلطان لأمر بمثل هذه المعجزة تثبت أيضاً سلطاني

لغفران الخطايا.» ينتهي السجل لهذا الحدث في إنجيل مرقس بالآية ١٢: «فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط.»

الخلاصة

تكمن بشارة الإنجيل كلها في ان يسوع المسيح يقدم غفران الخطايا للرجال والنساء الذين يعيشون تحت سلطان الخطية التي في حياتهم. الحقيقة الرئيسية التي كانت وما زالت تفرق المسيحية عن اليهودية هي ان مغفرة الخطايا تأتي بيسوع المسيح فقط. هذه كانت الحقيقة في القرن الأول وهي لا تزال إلى اليوم. الفرق الأساسي بيننا وبين اليهود هي الحقيقة باننا نؤمن بان مغفرة الخطايا تأتي بيسوع المسيح. هذه هي النقطة الحاسمة. الجدار الصلب الذي يفصل بين هاتين الديانتين العظيمتين للعالم المعاصر.

اراد يسوع من القصة في إنجيل مرقس الأصحاح الثاني ان يواجه هذه المسألة بتحكم لكي يعلم الشعب في أيامه – قادة اليهود وكهنة اليهود ومعلمو الشريعة اليهود، ان يعلموا يقيناً بان الإنسان الذي ينادي على المفلوج ليحمل سريره ويمش، هو أيضاً الإنسان الذي بقوة الله يغفر خطايا الناس.

نحن نرى بوضوح في يسوع طبع الله المكشوف للناس، وهو طبع معاكس لما ظنه معظم الناس ما يكون طبع الله نحوهم، انه ليس طبع صارم وقاسي وخالي من العدالة، هكذا كان يُرى الله كما أورده جوناثان ادوارد العصور الماضية في موعظة شهيرة بعنوان «خطاة في يد الله الغاضب» يقول مارتن لوثر عن جلوسه كطفل يرتعد في خدمات كنيسته ككاثوليكي، وعندما نظر إلى الزجاج المشجر للنوافذ التي توضح يد الله تنزل الخطاة على نيران جهنم. وهذا جعله يرتعد ويتراجع من ذلك التصور لله في السنوات المقبلة. تلك ليست صورة الله القدير كما تظهر في الأسفار المقدسة. فان طبع الله هو طبع المحبة الخالصة الذي يرغب دائماً ان يغفر. هذا هو السبب الذي من أجله يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل تسالونيكي عن الله بانه «الذي أحبنا وبنعمته نلنا رجاء أبدي.» ويضيف يوحنا الرسول في رسالته الأولى ٤:١٠ ما يلي: «في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا.» نحن نحب لأنه هو أحبنا أولاً. هو الخبر القديم، القاعدة الذهبية القديمة كما وردت في الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا ٣:١٦ «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.»

الحقيقة الأكثر أهمية عن حياتك هي ان الله يحبك، ويريد ان يغفر خطاياك، ويريدك ان تقضي الأبدية معه.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧